● نحن والمجتمع

ويكبرون على حب الإمام الحسين (ع)

الوفاق/ وكالات يمثّل عاشوراء منعطفاً تاريخياً في حياة الأمة الإسلامية، فهو لا يُعتبر حدثاً عابراً أو حادثةً قديمة، لأنَّ اثاره وما تركه من تداعيات ومواقف شكّلت مفترقاً هاماً وأسس لمنهجية في الثورة والجهاد، وقد تحوَّل بفعل مداليله المتنوعة إلى مدرسة تربوية مُلهمة، خرَّج أجيالاً من المتمسكين بمنهج أهل البيت (عليهم السلام)، وثبَّت قواعدَ وتعاليم وَفيرة ومتكاملة في السياسة والسلوك والأخلاق والتربية ومواكبة متطلبات الإنسان والمجتمع.

من هنا فإن التعاطي مع عاشوراء لا يتوقف عند ما جرى في التاريخ، ولا يقتصر على استحضار القصة من الماضي، وإنما يهدف إلى تربية الأجيال والمجتمع من منطلق ما حدث مع الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه في سيرهم ومسارهم إلى كربلاء وما جرى فيها وما تركته من اثار بعدها.

وبما أن الأطفال والناشئة يمثّلون شريحة هامة من المجتمع، ويتأهلون ليتصدروا المسؤولية المستقبلية فيه، فإنَّهم معنيون بدروس وعِبَر عاشوراء، لما لها من تأثير تربوي مؤثر ومؤسِس، وما يمكن أن تُشكّل في رصيدهم المعرفي والثقافي الذي يحملونه في حياتهم وممارساتهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "كل مولود يُولد على الفطرة، إلاَّ أن أبواه يهودانه أو ينصرانه"، فما يتأسس عليه الولد منذ الصغر، ينطبع في شخصيته ويتحوّل إلى سلوك عادي، وعادةً ما ينمو حسن الأدب أو سوؤه مع الطفولة، ثم يصعب تغيير هذا السلوك الاجتماعي مع الكبر.

البيئة المحيطة بالطفل هي المؤثرة والمؤسسة

إذا استعرضنا قناعات الأولاد وسلوكهم عبر التجارب الطويلة السابقة، لوجدنا أنَّ البيئة المحيطة والتي تشكل بيئة الأباء والمجتمع المحيط سواء أكانوا منسجمين معها أو كانت مسيطرة على واقعهم، وسواء اختاروها أو أساؤوا الاختيار هي البيئة المؤثرة والبانية والمؤسَّسَة. فمجالس عاشوراء للأطفال والناشئة فكرة جيدة وضرورية، لإشعارهم بأنهم معنيون بها، ولما لها من تأثير على أفكارهم وسلوكهم.

المجالس الخاصة للناشئة

إنَّ تخصيص المجالس العاشورائية للأطفال والناشئة يتطلب مخاطبتهم بمستواهم ومتطلباتهم، وفرق كبير أن يحضر الأطفال في المجالس العاشورائية العامة ليتأثروا بأجوائها ويلتقطوا بعض مضامينها، إذ يكون الهدف الرئيس عيشهم للذكرى بالتفاعل العاطفي بالدرجة الأولى، وبين أن يحضروا في مجالس خاصة بهم، حيث لا يمكن نقل مجلس الكبار بحذافيره إلى الصغار، فلا بدَّ من مراعاة مدى استيعابهم، وطبيعة المشاهد المؤثرة فيهم، والأفكار التي تتناسب مع بنائهم الثقافي والمعرفي، والأجواء التي تدخل إلى أعماق قلوبهم وتساهم في تعبئتهم. كما يجب الإلتفات لخطاب الناشئة الذي يختلف في بعض جوانبه عن الخطاب العام، وإن كنا نؤكد على ضرورة المحافظة على نمط المجلس من النعي إلى السيرة وإثارة المشاعر والإبكاء، لأنَّها تمثِّل الرصيد التاريخي الذي ساهم في حفظ هذه الذكرى.

موكب القائمية .. نموذجاً

المواكب الدينية العاشورائية نواة الثورة الإسلامية

طوال تكوين الثورة الإسلامية وانتصارها، تولت المواكب الدينية القيام بوظائف جديدة، فضلاً عن الاحتفاظ بالمهام التقليدية. فهي إلى جانب الوظائف السياسية والعسكرية والثقافية والفنية والاجتماعية والاقتصادية، تشكلت في هذه المواكب الدينية النواة الثورية، عبر أساليب وطرق متعددة منها تعليم الثوار التعليم الديني، وتوزيع الشعارات والإعلانات والأشرطة والصور الثورية بعد إعدادها، وتكريم مكانة الثوار وذكرى الشهداء في إطار جلسات القرآن والأحكام الإسلامية ومجالس العزاء في داخل تلك المواكب.

لذا، فإن السمات الخاصة للمواكب الدينية وبُنيتها، كانت توفر إمكانية تنظيم النشاطات السياسية وتعبئتها في خضم الثورة الإسلامية والى جانب المؤسسات الأخرى بشكلٍ بارز. على هذا نقوم في مقالتنا بإعادة قراءة أنشطة بعض المواكب الدينية المؤثرة في خضم الثورة الإسلامية، وفي هذه المقالة سنتطرق إلى دراسة دور موكب القائمية، وموكب بني الزهراء (ع).

الوفاق /وكالات

تاريخ موكب القائمية

يُعد الشيخ "محمد طهراني" مؤسس موكب القائمية وفق تصريح شقيقه "أحمد طهراني"، لكن ورد في تقارير "السافاك" بأن سيد "محمد مهدي موسوي خلخالي" ابن سيد فاضل إمام جماعة مسجد "مهدوية"، هو المؤسس للموكب. في بداية تأسيس الموكب في عام ١٣٢٥هـ لم يكن للموكب مكاناً ثابتاً، وكانت تقام المجالس في بيوت الأصدقاء. وأقيمت المراسم لمدة ثلاثة أعوام في بيت الراحل الحاج "حبيب الله زاهدي" في شارع خراسان، وبالتزامن مع تأسيس الموكب كانت تُقام احتفاليات الخامس عشر من شهر شعبان. في عام ١٣٣٢هـ أضاء الموكب المصابيح في الشوارع احتفالاً بمولد القائم (عج)، مثيراً الحماس في نفوس الناس عبر الألعاب النارية والأناشيد الدينية، وذلك في أول احتفال علني للموكب.

توسع نشاطات الموكب

توسعت نشاطات الموكب منذ عام ١٣٣٦هـ، وأصبحت تُقام في مسجد "الصدرية " الواقع في شارع خراسان. أقام الموكب أولى برامجه في المسجد لليلة الثالث عشر من شهر رجب في ذكرى مولد الإمام علي(ع). سمح إقامة الموكب لأنشطته في المسجد للشيخ "محمد طهراني" بإلقاء خطبة يكشف فيها عن جرائم الرؤساء ويفضحهم.

كان يحضر الشباب في المسجد ويقومون بالنشاطات الدينية والاجتماعية. في أول سنة أقيمت احتفالات منتصف شعبان في مسجد "الصدرية"، أقيمت نشاطات وبرامج جديدة في ذلك الوقت، منها وضع لافتات كبيرة. وقام شبان الموكب بتزيين الشارع عبر وضع المزهريات والورود مما أضفى بهجة وجمال على أجواء الشارع . كما شكل تواجد الطلاب في المدارس بأزياء موحدة وجميلة، وهم يحملون الورد وينشدون الأناشيد في طريقهم من المدرسة إلى المسجد أمراً جميلاً وملفتاً للنظر، وأثار اهتمام الجميع. هذه الأنشطة الاحتفالية دفعت لمشاركة واسعة من الناس في الاحتفالات، إذ وقفوا في طوابير طويلة لتقديم التهنئة بمناسبة ولادة القائم (عج)، وبعد انتهاء الاحتفال كان موكب القائمية يمنح المواكب الأخرى هدايا من ضمنها الفضة. استمر تنفيذ أنشطة موكب "القائمية" في مسجد صدرية لأكثر من سبعة وعشرين سنة، وبما أن إمكانات المسجد لم تكن تلبي الحاجات، فكان من الضروري التفتيش عن مكان جديد، فتم لهذا الغرض شراء عقار تبلغ مساحته ١٥٦٠ متراً، وتم بناء الموكب الحالي عليه.

منذ بداية تأسيس موكب القائمية وبغية الحؤول دون نشر الانحرافات عن الدين ونشر الفساد الاجتماعي، مثل بيع الكحول ونشر السفور وغيرها، نشر الموكب فتاوى مراجع التقليد الكبار.

تعاون الموكب مع حركة "فدائيان إسلام"

لقد كان موكب القائمية فعالاً في فترة حكم "مصدق"، وأصدر بيانات كثيرة معارضة لحكومة "مصدق"، كتب جُلها الشيخ "محمد طهراني"، ونشرها. بنى الشيخ محمد علاقات وطيدة مع الشهيد "نواب صفوي" وكان الموكب يعمل في سبيل أهداف حركة "فدائيان إسلام" وخططها. في فترة الشاه أصدر الشيخ "محمد طهراني" بيانات كثيرة معارضة للشاه، والتقى عدة مرات بالإمام الخميني (قدس) وبسبب الأنشطة السياسية ونضاله ضد الشاه اعتقل وأودع السجن. بعد اعتقاله بسبب معارضته مع حكومة مصدق، طالب "آية الله كاشاني" بإطلاق سراحه، وبما أنه كان رئيساً للمجلس في تلك الآونة، اعتصم في بيته، من أجل إطلاق سراحه.

نسبة المشاركة الشعبية والقاعدة الاجتماعية

في موكب القائمية شاركت كل الطبقات الاجتماعية (التلاميذ والطلاب)، لكن المعلومات التي وردت على لسان "احمد طهراني" في مقابلة أجريت معه، أظهرت أن موكب القائمية كان على علاقة بحركة "فدائيان إسلام" وكانت تنفذ أهدافها. كما يدل تقرير السافاك في طهران فيما يتعلق باجتماع أعضاء موكب القائمية في مسجد الصدرية (المنتمية إلى حركة فدائيان إسلام) بعلاقة الموكب بالحركة وكذلك تظهر وثيقة أخرى للسافاك تُعرف فيها الموكب كأساس لقيادة حركة "فدائيان إسلام". وفي الوثيقة نفسها ورد باعتبار "موكب القائمية "من ضمن المواكب الثورية الدينية. كما ورد في التقارير بأن أكبر نسبة المشاركين في الموكب بلغت ٢٥٠ شخصاً.

معارضة الموكب لسياسات وممارسات رضا شاه

تظهر لنا وثائق السافاك عن الموكب وكذلك مقابلة "أحمد طهراني"، المعارضة الشديدة للشيخ "محمد طهراني" لرضا شاه، إذ كان يتحدث في خطاباته الشديدة اللهجة عن معارضته للممارسات غير الدينية للشاه. كان الشيخ محمود من المناضلين النشطين في فترة تأميم النفط وكان من أنصار جبهة "آية الله كاشاني"، وبسبب نشر بيانات معارضة لحكومة "مصدق"، اعتقلته السافاك وألقى به في السجن. يتحدث "غلام رضا كرباسجي" وهو من الأعضاء النشطين والفاعلين في الموكب عن هذا الموضوع :" كنت عضواً في موكب القائمية بقيادة سماحة الشيخ "محمد طهراني"، وقد وضع السافاك عميلاً خاص في الموكب لمتابعة وحضور كل اجتماعاته وإرسال الأخبار للسافاك." وقد ورد في إحدى وثائق السافاك بقيام هذ العميل الخاص بالإتصال بأحد أعضاء الموكب الفعالين وهو "حسين بور قمي" مستعلماً منه عن نشاطات الموكب وعرف منه الأمور التي تجري في الموكب.

في هذا السياق يقول " أحمد طهراني" بأن عملاء السافاك حضروا في الموكب وبغية الحؤول دون تنفيذ أنشطته قاموا باعتقاله واعتقال شقيقه الشيخ" محمد طهراني" وبقي في السجن لعامٍ من الزمن.

موكب بني الزهراء (ع)

يقول "هوشنك طريقت" حول تاريخ الموكب: "إن موكب بني الزهراء (ع) كان يقيم اجتماعاته بدايةً في بيوت أحد الأعضاء، وكان يقوم الأعضاء بتوفير المال لشراء احتياجات ومستلزمات أنشطة الموكب، وكان والدي الحاج رضا (رحمه الله) يدفع التكاليف الخاصة بالرادود. إلى أن اشترى الموكب في العام ١٣٣٤ هـ أرضاً أقام عليها حسينية بني الزهراء(ع)".

منع وتضييق على إقامة المجالس العاشورائية

كانت إقامة العزاء ممنوعة في عهد "رضا شاه"، لم يسمع في عهده نداء "ياحسين" مرةً واحدة، وبعد سقوط حكمه تنفس الناس الصعداء، ونزل المؤمنون في أول شهر محرم الحرام إلى الشوارع لإقامة العزاء الحسيني. وعانى المؤمنون كثيراً في عهد "رضا شاه"، فعند إقامة العزاء في الأزقة كان يُعين أصحاب الموكب أشخاصاً لمراقبة الأجواء وإبلاغهم بحدوث أي امر خشيةً من معرفة جنود الحكومة عن إقامة العزاء.

أشهر خطباء الموكب

من أشهر خطباء موكب "بني الزهراء (ع)" آية الله "وحيد خراساني"، وآية الله "شريعتمداري" والشيخ "إسلامي سبزواري" وآية الله" فلسفي" والشيخ "حاجي أشرف". يشكل وجود هؤلاء الخطباء المعارضين لنظام الشاه أحد أسباب مراقبة السافاك للموكب، فهؤلاء الخطباء كانوا يتحدثون عن القضايا المعاصرة ويعرفون الناس بأوضاع المجتمع. سجل الحاج "رضا طريقت" كل هذه الخطابات وهي الأن مؤرشفة لدى موكب بني الزهراء(ع). من بين الخطباء كان آية الله "وحيد خراساني "يمنع تسجيل خطاباته. وفي المرة الوحيدة التي تم تسجيل خطابته كشف السافاك الأمر. وفي فترة حياة الحاج "طريقت" وبسبب الخلافات التي ظهرت في صفوف الموكب انفصل عدد من الأعضاء وانضموا إلى موكب" المهدوية"، لكن لم يستمر الموكب بالعمل لفترة طويلة وتم إغلاقه. وفي يومنا ينفذ الموكب أنشطة وبرامج في العشرة الأولى من شهر محرم ويوم ٢١ من شهر رمضان وكذلك في يوم الجمعة (دعاء الندبة).

نسبة المشاركة الشعبية والقاعدة الاجتماعية

شاركت مختلف الطبقات الشعبية في الجلسات الدينية لموكب بني الزهراء (ع)، وشارك كذلك أعضاء مواكب أخرى مثل "الزينبية" و"المهدوية" و"أنصار عباس الحسين". هذا وقد شكل الموكب حاضنة لكل الفئات الشعبية ولم يكن لفئة دون غيرها، وكذلك لم يرتبط بمجموعة أو حزب سياسي خاص، ونظراً إلى الوثائق المتوفرة بلغ عدد المشاركين في موكب بني فاطمة (ع) ألفين إلى ثلاثة آلاف شخص.

في عهد رضا خان كانت تقام المجالس العاشورائية بشكلٍ سري، وحتى علماء الدين والخطباء كانوا يشاركون في مجالس العزاء دون ارتداء الزي الديني الخاص بهم، كي لا يؤدي حضورهم في تلك المجالس إلى الكشف عنها